الباب الرابع

مزاعم الجاهلية ومبطلاتها

فى الجاهلية كثير من المزاعم التى كان الناس يعتقدون لها تأثيراً فى ذاتها. فجاء الإسلام بالإيمان القوى يستأصل شأفتها ويقلع جذورها من نفوس أهلها ، وهى العدوى والطيرة والغول وصفر والنوء والهامة ونحوها .

وجاء في الأحاديث ما يدل على أن لبعض هذه المزاعم تأثيراً على الحقيقة، ولكن الله يبطلها بالتوكل. وقد أوضح أن بعضها خرافات لا تأثير لها على الإطلاق.

ولذلك ذكر الحديث بعض الاحتياطات التى يجب الأخذ بها لإبطال تلك الآثار.

قال فى العدوى: «لا توردوا الممرض على المصح» (متفق عليه).

وقال للمجذوم الذى يطلب منه البيعة (قد بايعناك فارجع) .

وقال : « فر من المجذوم فرارك من الأسد » (متفق عليه) .

وقال : « إذا سمعتم بالطاعون فى أرض فلا تقدموا عليها، وإن وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » رواه مسلم .

وندب إلى التوكل على الله عند الخوف من العدوى فى قوله للمجذوم والذى يريد أن يأكل معه، « كل ثقة بالله وتوكلا عليه » .

وأهم مزاعم الجاهلية كما مر فى الحديث : هى العدوى والطيرة والغول وصفر والنوء والهامة والتطير والتشاؤم حتى بالأيام والشهور .

وإليك بيان ذلك بالتفصيل :

عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال : « لا عدوى ولا طيرة إنما الشؤم فى ثلاث، فى الفرس والمرأة والدار » رواه الأربعة .

وفى رواية لمسلم : « لا عدوى ولا غول ولا صفر » .

وفى رواية البخارى : (لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر) .

١ - **العدوى** : سريان الجرب من دابة إلى أخرى، أو من إنسان إلى آخر، وكانت العرب تعتقد أن الأمراض تعدى بذاتها فمنع النبى هذا الاعتقاد بقوله: «لا عدوى» كما مر بيانه.

٢ - **أما الطيرة والشؤم**: فهما شيء واحد، وبعبارة أخرى التطير والتشاؤم. وأصل التطير أن العرب فى الجاهلية كانوا إذا خرج أحدهم لحاجة قصد طيراً وهيجه فإن رأى أنه طار عن يمينه تيمن به واستمر فى حاجته، وإن طار عن يساره تشاءم به ورجع، ولذا جاء فى الحديث: «أقروا الطير فى وكناتها».

ثم صار التشاؤم والتطير فى كثير من الأحوال فجاء الحديث فحصرها فى ثلاثة أشياء وقال: لا شؤم إلا فى ثلاث: «فى الفرس والمرأة والدار». متفق عليه.

وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله: إنا نزلنا داراً فكثر فيها عددنا وكثرت فيها أموالنا، ثم تحولنا منها إلى أخرى فقلت فيها أموالنا وقل عددنا فقال رسول الله: «ارحلوا عنها وذروها ذميمة».

وجاء فى رسالة الإمام مالك لهارون الرشيد إذا نزلت منزلاً فقل: أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لأنه بلغنى عن

النبى ﷺ أنه قال: «من نزل منزلاً فقال هذه الكلمات وقى شر منزله حتى يرتحل عنه». الحديث. أخرجه مسلم عن خولة بنت حكيم.

ومما يلحق بذلك ما جاء فى سنن النسائى أن النبى لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها: «اللهم رب السموات السبع وما أظللن والأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها».

وروى أبو داود أن النبى ﷺ قال: «إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادماً فليقل: اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه».

ولما عز على الناس ما يجدونه فى قلوبهم من التطير والتشاؤم فى الأحوال والأمور، خفف النبى عليهم الأمر فقال: «ليس عبد لا يدخل قلبه الطيرة فإذا أحس بذلك فليقل: أنا عبد الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله لا يأتى بالحسنات إلا الله، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، أشهد أن الله على كل شيء قدير، ثم يمضى» رواه أبو داود.

ويلحق بها التشاؤم بالأيام والشهور.

نسبة الأيام والشهور إلى ما يحدث فيها

كانت الأمم فى الجاهلية تنسب الشهور القمرية والأيام الشمسية إلى ما يحدث فيها غالباً، لا فرق فى ذلك بين أمة وأخرى من الفرس والصين واليونان والرومان.

فمن رواسب الوثنية الرومانية التى بقيت فى الأمم التى كانت مستعمرة لها، أسماء الأيام التى كانت الرومان تنسبها إلى الآلهة المعبودة فيها.

فيوم عبادة الشمس هو المسمى بالإنكليزية اليوم: صون دى. وهو يوم الأحد مثلاً.

ويوم عبادة القمر هو المسمى موندى وهو يوم الاثنين مثلاً.

وهكذا يورسدى يوم عبادة الرعد.

وويدندى يوم الزواج والنكاح.

وكان العرب يسمون الشهور بعضها بما يحدث فيها.

كالمحرم حيث حرموا فيه القتال.

وصفر لأن النجوع والخيام كانت تصفر الرياح فيها لخلوها من سكانها.

والربيع لإخصابهم فيه وما بعده.

وجمادى لأن الأرض تجمد فيه ولا تخرج نباتاً ولا زرعاً ولا تدر النياق لبناً.

ورجب لأن العرب ترجيه وتحترمه .

وشعبان لتشعب القبائل فيه .

ورمضان لشدة الرمضاء والحرارة فيه .

وشوال لشولان الإبل وتحريك أذنابها فيه وقت اللقاح والحمل.

وذو القعدة لأنهم يقعدون فيه عن القتال.

وذى الحجة لأنهم يحجون فيه .

وكذلك كانوا يسمون أيام الأسبوع بغير ما هى الآن فكانوا يسمون الأحد: الأول، والاثنين: أهون، والثلاثاء: جبارا، والأربعاء: دباراً، والخميس: مؤنس، والجمعة: عروبة، وللسبت: شيارا.

وربما تولد من ذلك اختصاص بعض الأيام لفعل الخير وبعضها لفعل الشر والحرب والضرب، ثم تبع ذلك التفاؤل والتشاؤم حتى بعد أن جاء الإسلام وغير أسماء الأيام إلى : الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة، والسبت،

طبقاً لما عند أهل الكتاب فى التوراة ، لأنهم لا يزالون يسمون يوم السبت سباط بمعنى سبعة سابع الأيام.

ولقد بدأت التقاليد الجاهلية فى نيجيريا اليوم تهدف إلى نبذ أسماء الأيام العربية إلى الأسماء المحلية فى بلاد يوربا ، وهى أسماء منسوبة إلى الأوثان التى يعبدونها فيها قبل الإسلام ، فعلى الدعاة أن يحاربوا هذه الجاهلية .

ولنرجع إلى الكلام حول التشاؤم بالأيام والشهور :

لقد ورد فى الأحاديث ما ظاهره التعارض مع ما ذكرناه حيث يذكر الحديث بعض الأيام بالخير وبعضها بالشر . منها ما رواه الطبرانى وأخرجه السيوطى فى قوله : «آخر أربعاء من كل شهر نحس مستمر» فهو عند المحدثين حديث موضوع.

وفى تاريخ الخطيب البغدادى أن عليًّا رضى الله عنه كره أن يتزوج الرجل أو يسافر إذا نزل القمر فى المحاق لأنه وقت الظلمة، وقد تقرر أن للقمر تأثيراً على الكائنات الحية فى الأرض فى الهلال والبدر والمحاق.

ومصداق ذلك ما جاء فى حديث الاحتجام فى بعض الأيام

حسبما روى عن الترمذى أن النبى ﷺ قال: «إن خير ما تحتجمون فيه يوم سابع عشر أو تاسع عشر أو إحدى وعشرين». وذلك لنقصان الدم بنقصان نور القمر.

روى الألوسى فى مبحث يوم نحس مستمر أقوالاً متضاربة عن العلماء. ثم عقب قوله بما جاء عن الحليمى أنه قال: «علمنا ببيان الشريعة أن من الأيام نحساً ويقابل النحس السعيد وإذا ثبت الأول ثبت الثانى».

فالأيام منها نحس وسعد كالأشخاص منهم سعيد ومنهم شقى، ولكن الزعم بأن الأيام والكواكب تنحس وتسعد باختيارها وأوقاتها وأشخاصها فباطل، إذ الكل فعل الله، والأيام كلها لا تنفع ولا تضر بذاتها ثم ختم البحث بقوله: (كل الأيام سواء ولا اختصاص لذلك بيوم الأربعاء، وما من ساعة من الساعات إلا وهى سعد على شخص ونحس على آخر، باعتبار ما يحدث فيها من الملائم والمنافر والخير والشر).

وأورد ما نسبه الحافظ الدمياطى لعلى رضى الله عنه من هذه الأبيات ثم تعقبها بأنها لا تصح:

لنعم اليوم يوم سبت حقا ... لصيد إن أردت بلا امتراء
وفى الأحد البناء لأن فيه ... تبدى الله فى خلق السماء
وفى الاثنين إن سافرت فيه ... سترجع بالنجاح والثراء
ومن يرد الحجامة فالثلاثا ... ففى ساعة هرق الدماء
وإن شر امرؤ يوما دواء ... فنعم اليوم يوم الأربعاء
وفى يوم الخميس قضاء حاج ... فإن الله يأذن فى القضاء
وفى الجمعات تزويج وعرس ... ولذات الرجال مع النساء
وهذا العلم لا يدريه إلا ... نبى أو وصى الأنبياء

وإنى أظنه من اختصاصات الشيعة انظر ج/ ٢ ص١٧ من روح المعانى: يوم السبت يوم مكر وخديعة، ويوم الأحد يوم غرس وبناء، ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق، ويوم الثلاثاء يوم حديد وبأس، ويوم الأربعاء يوم أخذ وعطاء، ويوم الخميس يوم طلب الحوائج والدخول على السلطان، ويوم الجمعة يوم خطبة ونكاح .

فإن مثل هذا الكلام حيث يؤدى إلى التشاؤم ببعض الأيام، وقد قررنا أنها أعراض لا أثر لها فى حد ذاتها ، وإنما هى التى تتأثر بالوقائع والحوادث التى تكون فيها.

أما النوع الثانى : فى ذكر بعض الأيام بالخير، فالأحاديث

الواردة فى فضائل الأيام بعد خلق الأشياء فتنحصر فى : الليالى والأيام الفاضلة .

أما كون بعض الأيام أفضل من بعض فهو صحيح شرعاً وعقلاً، ذلك لما يحدث فيه من أعمال جليلة أو ينزل فيه من رحمات الله وبركاته، كما فى أيام العيد وليلة القدر التى نزلت فى فضلها سورة خاصة .

ومن ذلك ما جاء فى الموطأ عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلا وهى مسيخة حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس وفيها ساعة لا يصادفها عبد مؤمن وهو يصلى يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه » رواه أبو داود والترمذى والنسائى .

وروى الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده قال : قال رسول الله ﷺ : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علىَّ من الصلاة فإن صلاتكم معروضة علىَّ » قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك

صلاتنا وقد أرممت يعنى بليت قال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» رواه أبو داود والنسائى.

وهناك أحاديث أخرى فى فضل يوم الاثنين كما فى صحيح مسلم «سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه أو يوم أنزل علىَّ فيه».

كما أن هناك أحاديث فى فضل الشهور مثل شعبان ورمضان وباقى الأشهر الحرم، كل ذلك ليس للشهور والأيام فى حد ذاتها ولكن للحوادث الواقعة فيها، ولما ينزل الله فيها من رحماته وبركاته.

* * *

بين التفاؤل بالأيام والتشاؤم بها

إن من آثار التنجيم الممقوت الاعتقاد بأن الكواكب هى التى تسعد الأيام أو تنحسها بتأثيرها.

والإسلام يقرر بأن الأيام كلها لا تنفع فى حد ذاتها ولا تضر إلا بإذن الله، إذ لا شىء يميز يوماً عن يوم إلا ما يحدث الله فيه من الآثار الجوية من حرارة وبرودة وأمطار ورياح وعواصف فهى التى

تؤثر على الأيام وتجعلها موافقة أو مخالفة لأمزجة النباتات أو الكائنات الحية على ظهر البسيطة فيُنتج من ذلك نحس على طائفة وسعد على الأخرى.

ولتمام تحقيق الكلام على الأيام لا بد من الاستئناس بكلام الحكماء فى المقولات العشر وهى:

إن المقولات لديهم تحصر ... فى العشر وهى عرض وجوهر
وأول له وجود قاما ... بالغير والثانى لنفس داما
ما يقبل القسمة فى ذات فكم ... والكيف غير قابل بما ارتسم
أين حصول الجسم فى المكان ... متى الحصول خص بالأزمان
ونسبة تكررت إضافة ... نحو أبوة أخا لطافة
وهيئة بما أحاط وانتقل ... ملك كثوب أو إهاب اشتمل
إن يفعل التأثير أن ينفعلا ... تأثر ما دام كل كملا

وتفسيرها فى البيتين الآتيين:

زيد الطويل الأزرق بن مالك ... فى بيته بالأمس كان متكى
بيده الغصن لواه فالتوى ... فهذه عشر مقولات سوا

فالزيد هو الجوهر والطويل هو الكم والأزرق هو الكيف وابن

مالك هو الإضافة وفى بيته المكان وبالأمس هو الزمان، كان متكى هو الوضع بيده الغض هو الملك ، لواه هو الفعل فالتوى هو الانفعال .

فهذه هى القواعد التى يضعها الحكماء لتحقيق ماهية الأشياء: وقالوا إن الشيء إما جوهر أو عرض، والجوهر ما قام بنفسه ثم قام به غيره من الأعراض وهى تسعة.

وقالوا : إن الشيء إما جوهر وإما عرض ، والجوهر. ما قام بنفسه ثم قامت به الأعراض التسعة .

ومن الأعراض التسعة، مقولة المتى وهى بيت القصيد هنا وهى المختصة بالزمان، قالوا: إن الزمان مقدار معين لحركة كوكب من الكواكب أو مقدار معين لحركة الفلك الأعظم..

فبالنسبة إلى الكواكب السيارة حول الشمس يقسم هذا الزمان إلى ساعات وأيام وشهور وأعوام . وتوجد هذه المقادير فى كل كوكب من الكواكب السيارة باختلاف بعدها وقربها عنها.

واليوم عندنا نحن أهل الأرض مقدار معين يتحدد بحركة الأرض حول الشمس وتقسم ساعاته إلى أربع وعشرين ساعة، نصفها نهار ونصفها ليل.

وبعبارة أخرى نقول : اليوم مقدار متجدد معلوم يقدر به متجدد موهوم وليس له جسم ولا حركة ، فهو بذلك عرض لا جوهر حسب قاعدة المقولات العشر، وهو بذلك لا تأثير له على شيء لأنه عرض وإنما يؤثر عليه شيء آخر إذا كان جوهراً.

قال ابن القيم فى بدائع الفوائد : « لما كانت الأيام متماثلة لا يتميز يوم عن يوم بصفة نفسية ولا معنوية لم يبق تمييزها إلا بالأعداد، ولذلك جعلوا أسماء أيام الأسبوع، مأخوذة من العدد نحو الأحد والاثنين أو بالأحداث الواقعة فيها كيوم بعاث ويوم بدر، ثم قال: أما حديث خلق الله التربة يوم السبت فحديث معلول، ثم كرر البيان بقوله: إن معرفة أيام الأسبوع لا يعرف بحس ولا عقل ولا وضع يتميز به الأسبوع عن غيره ، وإنما يعلم بالشرع ، بهذا لا يعرف أيام الأسبوع إلا أهل الشرائع بخلاف معرفة الشهر والعام فإنه بأمر محسوس. ج أول ص ٨٤ .

* * *

الأيام فى القرآن

لقد وردت فى القرآن عدة آيات تشير إلى أن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام، منها قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨] .

وقد تكلم المحققون فى تفسير ذلك فقالوا: إن معناه ستة مقادير متساوية من الزمن إذ لا ليل ولا نهار قبل خلق السموات والأرض وهو مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: ٦٢]

والمراد على مقدار البكرة والعشى فى الدنيا .

وهناك آيات تذكر بأفصح بيان كيفية بدء الخلق منها قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا

وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢].

وهناك آية أخرى تدل على أن الأيام فى القرآن مقدار معين من الزمان غير أيامنا الشمسية، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

ومنها قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]

* * *

الأيام فى الأحاديث

وعلى ذلك الأساس يجب إعادة النظر فى الأحاديث الواردة فى خلق الأشياء فى أيام معينة، فجميع أحاديث الأيام فى خلق الأشياء مشكوك فيها.

أما الأحاديث الواردة فى فضائل الأيام بعد خلق الأشياء

فلا بأس بها، فالأول من هذا النوع هو الذى رواه مسلم عن أبى هريرة قال: «أخذ النبى ﷺ بيدى فقال: خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل».

وهذا الحديث وإن كان صحيحاً فى سنده، ففى متنه علة كما ذكره ابن القيم وغيره طبقاً للقواعد العلمية المذكورة آنفاً.

لأن خلق الأيام لا تكون قبل خلق السموات والأرض حتى يكون خلق التربة يوم السبت، وخلق الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين.

* * *

الأيام السبعة من كل شهر

وكذلك ما يروى فى بعض الأحاديث الضعيفة التى تنتهى أسانيدها إلى الإمام على رضى الله عنه، أنه ينبغى للمرء، أن يتوقى تلك الأيام للأمور المهمة وهى: الثالث والخامس والثالث

عشر والسادس عشر والحادى والعشرين والرابع والعشرين والخامس والعشرين من كل شهر حتى كانوا ينسبون إلى الحافظ ابن حجر منظومة لهذه الأيام المنحوسة.

توق من الأيام سبعا كواملا فلا تبتدى فيهن بيع ولا سفر
ولا تلبسن ثوبا جديداً وخلعة ولا تنكح الأنثى ولاتغرس الشجر
ولا تحفرن بئراً ولاتبن منزلا مقابلة السلطان فالحذر الحذر
ثلاث وخمس ثم ثالث عشرة ويتبعها من بعد ذا سادس عشر
وحادى والعشرين لا تنس حذره وأربع والعشرين والخامس الأثر
وآخرا أربعا من الشهر كله كما ورد النص الذى شاع واشتهر
توقهموا ما دمت حيًّا فإنهم كأيام عاد ليس تبقى ولا تذر

فإنها لا تستند إلى برهان علمى أو دليل شرعى وربما كان من أعمال الشيعة الذين كانوا يزعمون أنهم يختصون بما ينسبونه إلى الإمام على من علوم وأسرار.

* * *

من مزاعم الجاهلية

١ - **فالهامة** : وهى بومة تزعم العرب أن القتيل إذا لم

يؤخذ له ثأره تجتمع عظامه وتصير هامة تطير وتحيا وتقول: اسقونى اسقونى فلا ينقطع صياحها حتى يؤخذ بثأر القتيل[١] وهذه خرافة محضة، لذلك جاء الإسلام وفندها وقال فى الحديث «ولا هامة».

٢ - **والغول**: مفرد الغيلان وهو نوع من الجن والشياطين تزعم أنه يظهر للناس بصور شتى تضلهم عن السبيل وقد جاء الإسلام ونفى هذا الاعتقاد لأنه شيء وهمى وقال أحد العلماء إن الغول أحد المستحيلات الثلاثة بقوله:

اعلم بأن المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل الوفى

غير أن جاهلية إفريقيا كانت ولا تزال تصطنع الغول وتخيف به الغلمان والنسوان، وذلك بأن يتقمص أحدهم رقاعاً مبرقشة تغطى سائر بدنه من أعلى رأسه إلى منتهى قدميه.

وربما حمل فوق رأسه أشياء رهيبة كجماجم الموتى أو مواد سامة تضر من يدنو إليها من غير حاملها الذى كان قد اصطبغ

---

(١) قال شاعرهم:

يا عمرو إن لا تدع شتمى ومنقصتى أضربك حتى تقول الهامة اسقونى

بترياق تلك السموم ، يريدون بذلك ليثبتوا وجود الغول ويخيفون بها النسوان، ولا تزال أعياد الغول تقام حتى اليوم فى كثير من البلدان التى لا يحكمها أمراء مسلمون فى سواحل غرب إفريقيا بما فيها نيجريا وما يجاورها، منها الغول الطويل للنوفاويين والقير لليرباويين.

ومن الخرافات التى أبطلها الإسلام ما كانت الجاهلية تفعله وتسميه:

العقر : وذلك أن يذبحوا عند القبر بقرة أو شاة أو جملاً ويقولون: إنه كان يعقرها للأضياف فى حياته فيكافأ بذلك بعد الموت.

وبعضهم يزعمون أن من مات فربطت على قبره دابته وتركت حتى تموت حشر عليها، ومن لم يفعل ذلك حشر ماشياً، ولذلك كله جاء الإسلام وقال: (لا عقر فى الإسلام).

لهذا ذهب العلماء إلى النهى عن التصدق على الميت بذبيحة من بقرة أو شاة أو نحوهما حتى لا تشتبه بهذا العقر، وذلك من باب سد الذرائع أو من باب ترك الشبهات.

ومن المزاعم الباطلة الرقى والتمائم والتولة: لما جاء في الحديث «أن الرقى والتمائم والتولة شرك». رواه أحمد والحاكم.

غير أن الإسلام قد رخص في هذه الأشياء إذا كانت من القرآن ولا تنتمي إلى الكفر والوثنية كما سيأتي، ولعل هذه الرخصة هي التي حملت علماء غرب إفريقيا على استبدال آثار الوثنية بما كانوا يسمونه «خذ من القرآن ما شئت لما شئت» لأنه شفاء ورحمة للعالمين.

أما الرقى: فهي كلمات تقال للتعوذ والتحصين من الشياطين وشرورهم، فقد نهى الإسلام عما كان منها غير مفهوم أو كان مما تستعين بالجن.

أما ما كان من القرآن فجائز لما رواه مسلم عن عوف ابن مالك قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: «اعرضوا عليَّ رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك».

وعن أبي سعيد أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال:

«اشتكيت؟ قال نعم. قال باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك باسم الله أرقيك» رواه مسلم.

وعن أبى سعيد الخدرى أيضاً قال: «بعثنا رسول الله فى سرية ثلاثين راكباً فنزلنا بقوم من العرب فسألناهم أن يضيفونا فأبوا فلدغ سيدهم فأتونا فقالوا هل فيكم أحد يرقى من العقرب؟ فقلت: نعم أنا ولكن لا أفعل حتى تعطونا شيئاً، قالوا: نعطيكم ثلاثين شاة فقال فقرأت عليه الفاتحة سبع مرات فشفى الرجل فلما قبضنا الغنم عرض فى أنفسنا شيء منها فكففنا حتى أتينا النبى ﷺ فذكرنا له ذلك فقال أما علمت أنها رقية اقسموها واضربوا لى معكم بسهم». متفق عليه.

وفى القسطلانى شرح البخارى أن النبى قال: «ولو أن رجلاً موقناً قرأ هذا القرآن على جبل لزال».

أما التميمة: فهى الخرزة التى كانت العرب تعلقها على أولادهم لمنع العين عنهم، وتكون من الثعلب أو الهر أو الكلب أو الودعة أو نحو ذلك، وكانوا يعتقدون أن ذلك إذا علق على

الطفل لم تقدر الجن على خطفه أو إصابته ، فيسلم من كل آفة، فتلك خرافة من الخرافات.

فجاء الإسلام ونهى عنها وقال النبى ﷺ « من علق تميمة فلا أتم الله له ومن علق ودعة فلا أودع الله له » رواه أحمد والحاكم.

وجوز بعضهم تعليق ما كان من القرآن كآية الكرسى والمعوذتين وغيره، روى النووى فى الأذكار عن سنن أبى داود والترمذى وابن السنى أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات: « أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ».

قال وكان عبد الله بن عمر يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبه فعلقه عليه. قال الترمذى حديث حسن .

أقول: ومن هنا أخذ علماؤنا الأفارقة جواز كتابة آيات القرآن وتعليقه حتى للكافر والمتنجس والجنب فتغالوا فيه وجاوزوا الحد الذى لم ينزل الله به سلطاناً، فأبطلوا تلك المنفعة إذا لم يراعوا حقها، فيجب على الدعاة أن ينبهوا عليها . فلا يجوز حمل القرآن أو كتابة شيء منه للكافر الذى لم يؤمن بالله[١].

---

(١) إن القرآن الكريم إنما أنزل لحرب الخرافات، فلا يجوز أن ترتكب هذه الخرافات باسم القرآن نفسه.

جواز التداوى بالعقاقير :

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « تداووا فإن الله ما أنزل داء إلا وقد أنزل له دواء »، وفى رواية أبى داود قال : « إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام » .

والأدوية التى تعالج بها الأمراض من ثلاثة أنواع مفردة كانت أو مركبة .

الأول منها : ما يكون من النباتات كالعجوة والحبة السوداء .

من ذلك الحديث القائل : « من تصبح على سبع تمرات عجوة لم يصبه سم ولا سحر ذلك اليوم » رواه البخارى .

الثانى منها : ما يكون من الحيوانات كالعسل واللبن والبول الجائز والمرارة . ويستدل على ذلك بالحديث القائل : « عليكم بألبان البقر فإنها دواء وأسمانها فإنها شفاء وإياكم ولحومها فإنها داء » رواه الحاكم .

والثالث منها : ما يكون من أجزاء الأرض كالتربة والنورة كما فى حديث الرقية الذى رواه البخارى .

وكان النبى ﷺ يتداوى بالأدوية المفردة كالعسل والعجوة والحبة السوداء والكمأة ويأمر أصحابه كذلك . بالتداوى بها .

والأحاديث الواردة فى ذلك كثيرة ومشهورة .

* * *

obeikandl.com

التداوى بفضلات الدواب الطاهرة

فى البخارى أنه سئل ابن شهاب عن ألبان الأتن ومرارة السبع وأبوال الإبل. فقال: قد كان المسلمون يتداوون بها ولا يرون بها بأساً.

وفيه أن أناساً اجتووا المدينة فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ، فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة ليشربوا ألبانها وأبوالها ففعلوا فشفوا ثم كان ما كان من أمرهم.

* * *

التداوى بالحرام جاهلية

كان أهل الجاهلية يتداوون ببعض الأدوية النجسة كالخمر والدم والبول القذر أو بالحيوانات الميتة النجسة كالهدهد والضفدع وعظام الميتة ونحو ذلك، ولما جاء الإسلام حرم كل ذلك وسماه (الدواء الخبيث).

وفى أبى داود: نهى النبى ﷺ عن الدواء الخبيث، وهو كل

ما يتركب من الحيوان الذى لا يؤكل أو الميتة وفضلة الحيوان أو المسكر أو الترياق المركب من لحوم الأفاعى أو ما يحتوى على الحشرات السامة كالعقرب والعنكبوت.

وقد سأل طبيب النبى ﷺ عن ضفدع يجعلها فى دواء فنهاه النبى عن قتلها.

وسئل عن التداوى بخمر فأجاب: إنها ليست بدواء ولكنها داء، «وأن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم».

وفى التاريخ: أنه بلغ عمر رضى الله عنه أن خالد بن الوليد تدلك بالخمر لإزالة شعر جسده فكتب إليه عمر يقول: إن الله حرم ظاهر الخمر وباطنه كما حرم ظاهر الإثم وباطنه، قد حرم مس الخمر إلا أن تغسل كما حرم شربها فلا تمسوها أجسادكم فإنها نجس.

فكتب خالد: إنا قتلناها فعادت غسولاً غير خمر. فكتب إليه عمر: «إنى أظن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء فلا أماتكم الله عليه».

هذا ولا يزال بعض المسلمين فى نيجيريا وما حولها يتعاطون

الدواء الخبيث إلى يومنا هذا. إما لشفاء الأمراض البدنية أو للدفاع عن سحر السحرة والمجال فى غير هذا أوسع.

كما أن الكثيرين منهم لا يتعففون من الأدوية الأوربية الخبيثة المركبة من المحرمات. والمسلم الصحيح القوى الإيمان يستطيع أن يبحث عن مركبات ذلك ليميز الدواء الطيب من الخبيث إلا إذا لم يجد إلى ذلك سبيلاً فيدخل فى حكم المضطر.

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾، ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾.

على أن فى غابات إفريقيا السوداء من غرائب النباتات وعجائب الأشجار ما كان القدماء يستعملونها قبل أيام الاستعمار، فيعالجون بها جميع الأمراض فإنها تصح حتى اليوم بأيدى من يعرفها.

ولو أن الكيمياويين والأطباء الحديثين اهتموا بكشف خواصها لأتوا بالعجب العجاب من العلوم التجريبية فى الطب والكيمياء قبل انقراض تلك النباتات فى غرب إفريقيا أو قبل انقراض من يعرف استعمالها.

من رواسب الجاهلية فى النكاح

جاء فى سنن أبى داود أن عائشة زوج النبى ﷺ أخبرت «أن النكاح كان فى الجاهلية على أربعة أنحاء» فكان منها نكاح الناس اليوم.

الأول : أن يخطب الرجل إلى الرجل وليته فيصدقها ثم ينكحها.

والثانى : كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلى إلى فلان فاستبضعى منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إن أحب.

وإنما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد فكان النكاح يسمى الاستبضاع.

والثالث : يجتمع الرهط دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم قد عرفتم الذى كان من أمركم ، وقد

ولدت وهو ابنك يا فلان فتسمى من أحبت منهم باسمه فيلحق بها ولدها.

والرابع : أن يجتمع العدد الكثير من الناس فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً لمن أرادهن فإذا حملت فوضعت حملها جمعوا لها ودعوا القافة ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون فنسب إليه، ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك ، فلما بعث الله محمداً ﷺ هدم نكاح أهل الجاهلية كله إلا نكاح أهل الإسلام.

ومن الأنكحة الجاهلية التى أبطلها الإسلام (نكاح الكره) :

وهو أن يلقى الرجل ثوبه أو أن يضع يده على امرأة أخ له مات عنها فيتزوجها بدون مهر أو نكاح جديد، بل على مهر المتوفى فتكون المرأة بهذه الصورة جزءاً من تركة الميت يرثها من هو أولى بها من عصبة الميت، وقد حاربها الإسلام وقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾

[النساء : ١٩]

ومنها نكاح المقت وهو أن يتزوج الابن امرأة أبيه إذا كانت صغيرة فيرثها كما تورث سائر التركة، فجاء الإسلام وقال:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ٢٢] .

ولا تزال رواسب نكاح الجاهلية فى كثير من البلدان غير الإسلامية حتى اليوم أو فى البلاد التى يختلط فيها المسلمون وغيرهم وربما تكون بصورة غير مباشرة، خصوصاً فى كثير من بلاد غرب إفريقيا التى لم يكن الإسلام فيها قويًّا، ولو بلغت ما بلغت فى الحضارة الغربية.

ومن التقاليد الجاهلية الباقية حتى اليوم بين الطبقات الفقيرة فى نيجيريا أن يغتصب الرجل صداق ابنته ليستأثر به أو ليقسمه بين العائلة حتى لا تنال البنت منه إلا لعاعة فيترك تجهيز زفاف البنت لأمها، أو للبنت نفسها من عرق جبينها عبر الأعوام السابقة لسن الزواج العرفى.

ومن تلك التقاليد الجاهلية المذمومة أن يقطع الزواج مراحل متعددة يأكل كل مرحلة منها مبالغ ضخمة من الرجل الخاطب.

فيؤخرون الزفاف حتى يطول استغلال الخاطب فى مناسبات الأعياد والمواسم وفى الأفراح والأتراح .

ومنها أن يجعلوا المهر أقساماً مجزأة فى أدوار مختلفة[١] .

بعضها فى دور الخطبة، ويسمى الهدية أو الوسيلة .

وبعضها فى دور القبول، ويسمى رأس المال.

وبعضها فى دور الزفاف، ويسمى لوازم الجهاز.

وآخرها فى خاتمة المطاف، ويسمى الصداق الشرعى.

وهذا الذى يدفع بجلس العلماء ويقع عليه عقد النكاح المشهود، وهذا كله ما يحدث فى بلاد يوربا فى نيجيريا وما حولها من الأقطار المجاورة.

وهذا الذى يحمل بعض الفتيان المستهترين إلى الإقدام على جريمة خطف البنت أو الوقوع عليها بطريق الزنا وإحبال البنت قبل

---

(١) كما فى هذه البدعة المستحدثة التى يحرص عليها كثير من الناس وهى مؤخر الصداق وإنما فعلوها كنوع من التأمين وليست من الإسلام فى شىء، إذ أن مبدأ الإسلام «التمس ولو خاتماً من حديد» فلم يقل الرسول: يكون مؤخر الصداق فى ذمتك، كما يفعله الناس اليوم!

تمام المرحلة الطويلة. فيكون الأولياء بذلك من الذين أشركوا فى الإثم ومهدوا الطريق، لهذه الجريمة يقول القرآن:

﴿ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ .

ومن التقاليد المذمومة ما يفعله بعض المسلمين فى بلاد هوسا وغيرها، من إطلاق سراح البنت الصغيرة فى سن المراهقة لقبول خطبة عدة من الرجال، وقبول الهدايا والوسائل من كل واحد فى سن مبكرة كما أن الزواج فى سن مبكرة مما يعتقد مسلمو بلاد هوسا أنه من الإسلام. ولا نريد أن نخوض فى ذلك الآن وإنما نكتفى بأن نقول: إن ما يفعله الكثير من الآباء وأولياء الأمور من إطلاق سراح البنت الصغيرة لقبول الهدايا من مختلف الخاطبين، يجب أن نحاربه ونتخلص منه حتى إذا تحدد يوم الزفاف اختار الوالد أو الولى لبنته واحداً من أولئك الرجال وطلب من الباقين أن يحاسبوه على ما أنفقوا من الهدايا للبنت حتى يرده لهم الوالد كاملاً غير منقوص، وقد فتحوا بذلك قلب البنت لمحبة عدد رجال من الذين عشقوها وعشقتهم، حتى ولو بقيت فى بيت زوجها، ولا تلبث أن تفارق الزوج الأول بأدنى شقاق أو خلاف لتعود إلى واحد من أولئك العشقاء. وإن لم يجد لذلك سبيلاً فتحت لنفسها بيتاً للدعارة خارج المدينة (سابنغرى).

وابتدع الآخرون منهم بدعة شنيعة وهم غلاة الإيمان والإحسان الذين يحسبون أنهم يحسنون لله وللناس صنعاً.

وتلك البدعة هى (التصدق بالبكر) وربما سموها بصدقة جارية وهى أن يجهز الرجل زفاف ابنته وأن يعقد عليها لرجل لم يسبق بينهما خطبة ويقدمونها إليه بصورة أمة مهداة.

وربما جهزوها بمؤونة تكفيها هى وزوجها لمدة سنة كاملة حتى لا تضطر الزوج إلى الاعتذار بضيق ذات يد.

وكثيراً ما ينقلب مثل هذا الزواج شقاقاً ونفوراً بين الزوجين، لأن المحبة لم تكن مزروعة، وإنما هى مغروسة، وشتان بين الزرع والغرس.

والإسلام يستنكر مثل هذه الصدقة ولم يسمع بمثله فى الشرع الإسلامى، وإنما يتصدق بالإماء دون الحرائر. والله تعالى يقول:

﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ** ﴾ [النساء : ٣] وأمر الرجال بدفع مهور النساء ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** ﴾ [النساء : ٤]

وعن المغيرة أنه خطب امرأة فقال النبى : « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » رواه النسائى والترمذى .

ويقول النبى ﷺ أيضاً : « لا تنكح البكر حتى تستأذن ولا الثيب حتى تستأمر ، والثيب تعرب عن نفسها ، وإذن البكر صماتها » . متفق عليه .

والاتفاق بين الزوجين شرط أساسى قبل عقد النكاح وتجب الفورية فى عقد الزواج بعد الوئام والوفاق فلا شىء يؤخر العقد إلا المرض أو الحج أو دم النفاس .

* * *

شروط النكاح فى الإسلام

إن شروط النكاح فى الإسلام كلها معقولة وميسورة وقد جمعها بعضهم فى هذا البيت :

المهر والصيغة والزوجان ثم الولى ثم شاهدان

الأول : المهر ، وهو الصداق الذى تقبضه المرأة من الرجل لاستحلاله لها سواء أكانت دفعة واحدة أم أقساطاً مقسمة مباشرة ، أو عن واسطة وأقله ربع دينار ولاحد لأكثره ، ومع ذلك نهى الإسلام عن التغالى فى المهور فإن ذلك مدعاة للزنا والفجور .

وقد جعل الإسلام الصداق حقًّا للزوجة على الزوج نظير تمليكه بضع المرأة واستمتاعه بها وجعله جبرا لاستفراشها ومكرمة تجعلها عزيزة عند زوجها، قال تعالى:

﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء : ٤] .

وهو خطاب للأزواج والأولياء الذين يحرمونهن هذا الصداق فى الجاهلية، وإن كان يجوز لولى البكر الصغيرة أن يقبض مهرها وإنما يقبضه لتجهيزها له لا ليغتصبه لنفسه.

وليس للزوجة ولا لوليها حق إسقاط الصداق كله وإنما لهم الحق فى إسقاط بعضه إذا كان هذا بالبعض هو الزائد على حق الله، الذى هو ربع الدينار أو ثلاثة دراهم.

ومن جاهلية القرن العشرين ما ظهر اليوم من بعض النساء المثقفات اللاتى يطالبن أنفسهن بإسقاط الصداق عليهن لما فيه حسب زعمهن من شعار المذلة والعبودية، التى تفرض عليهن طاعة الأزواج ولا يجعلهن سواء مع الرجال.

أليس على هؤلاء النساء أن يطالبن الطبيعة أولا بتناوب الأعضاء الجنسية والدورة الشهرية والحمل والرضاعة بين الرجل

والمرأة قبل كل شيء، وإن لم يفعلن فلن يفعلن ولن يجدن لسنة الله تبديلاً ولا تحويلاً.

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النساء : ٣٢] .

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء : ٣٤] ويجوز إعطاء المرأة لوليها أو زوجها شيئاً من الصداق عن طيب نفس منها لا عن طريق القهر والغصب واستغلال السلطة وإلى ذلك أشار القرآن:

﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ [النساء : ٤]

والشرط الثاني : الصيغة وهى الإيجاب والقبول كما فى البيع والشراء. والإيجاب هو الكلام الذى يصدر من أحد العاقدين كالخاطب مثلاً أو وكيله الذى يقول تزوجينى يا فلانة أو أطلب منك الزواج ، أو أنا فيك يا فلانة راغب، أو ما أشبه ذلك شفاهيًّا أو كتابيًّا.

والقبول هو ما يصدر من الزوجة أو الولى مما يدل على الرضا والموافقة، ويكون ذلك أمام شهود مع صداق.

وليس جلوس العلماء والأئمة لقراءة الفاتحة أو خطبة معينة شرطاً فى صحة العقد كما اعتقده الناس فى غرب إفريقيا، ولكننا لم نقل إن جلوسهم حرام بل هو خير لمراعاة شروط النكاح كاملة.

وليس شرطاً أن تكون الخطبة أو عبارة العقد والدعاء لغة عربية، وإن كانت هى الأفضل، بل يتم العقد بأى لغة كانت لأن النكاح كالبيع فى العقد.

ولذلك إذا أسلم الزوج والزوجة وبقيا على عقدهما قبل الإسلام، فلا يجدد عقد نكاحهما بعد الإسلام.

وقد أصر بعض العلماء على تجديد النكاح بعد إسلامهما، وذلك لا يستند إلى دليل شرعى إذ لم يرد فى الحديث أن النبى جدد نكاح زوجين دخلا فى الإسلام بل كان يبقيهما على نكاحهما الجاهلى ومن زاد على الأربع يقول له «اختر منهن أربعاً».

حضور العلماء لشهود عقد النكاح :

إنما يستحب أن يتم هذا العقد أمام العلماء لمراقبة شروط

النكاح، عليه والاستفادة من وعظهم وإرشادهم الزوجين ودعائهم لهما ولم يرد فى كتب الفقه نص معين لخطبة العقد وإنما وردت خطبة الحاجة التى كان يستعملها النبى فى مناسبات شتى وليست خاصة بالنكاح .

ونص الخطبة :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾ [النساء : ١].

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾ [الأحزاب : ٧٠، ٧١]

ثم يذكر حاجته». رواها أبو داود والنسائى والحاكم.

وللإمام أو العالم أن يختار أى صيغة من صيغ الخطب حسبما يوافق الغرض والوضع، وقد وضع بعض العلماء خطب الزواج لمن لا يستطيع الارتجال بالعربية كما فى خطب الجمع والأعياد. وقد عملنا نحن مثل ذلك للأئمة فى كتاب سميناه عون الإمام الراتب وهو معروف ومستعمل كثيراً.

الشرط الثالث : الزوجان، ولابد من إذن الطرفين قبل إيقاع العقد، وإلا فهو النكاح الجبرى القهرى.

الشرط الرابع: الولى، وهو الأب أو وكيله أو من يقوم مقامه من الرجال ولا تكون المرأة وليًّا.

والشرط الخامس : الشاهدان العدلان وإن لم يوجد العدول يستكثر من الشهود، وعلى هذا يجتمع الناس أمام العلماء ليكونوا شهودا.

* * *

من الأسماء سيما الكفر والإسلام

الاسم : ما كان موضوعاً للشيء بالأصالة مثل السماء والجدار .

والصفة: ما كان مشتقًّا من فعل كالطويل والقصير.

واللقب : ما أشعر بمدح أو ذم كأنف الناقة .

والكنية : ما ابتدأ بابن أو أب أو أم كأبى القاسم .

وبالاسم يعرف ذات الشيء أو أصله ، وهو الذى يتميز به عن غيره ، وهو مشتق من السمو أى الرفعة ، أو السمة بمعنى العلامة .

وكل إنسان ينشرح بنسبة الجميل إليه كما تنقبض نفسه بنسبة القبيح له ، والله سبحانه وتعالى يرضى لعباده أن يتأدبوا معه فى أن ينسبوا الخير إليه، وهو الفاعل الحقيقى للخير والشر، ويغضب أن ينسب الشر إليه.

ويحرضهم على دعائه بالأسماء الحسنى حيث قال:

obeikandl.com

﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠].

ومن أدب الأنبياء مع الله أن ينسبوا الخير إلى الله تعالى كما فى قصة العبد الصالح مع النبى موسى عليهما السلام، فقد نسب عيب السفينة إلى نفسه ونسب خير الغلامين لله تعالى.

وقول الجن : ﴿ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن : ١٠] وقد غضب الله على اليهود حيث نسبوا إليه البخل.

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة : ٦٤].

وقوله: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران : ١٨١].

وأوجب الإسلام على المسلمين التخلق بأخلاق الله، وقال النبى ﷺ : « تخلقوا بأخلاق الله ».

وأوجب عليهم أن يختاروا لأنفسهم خير الأسماء وأن يتسموا بأحسنها، وقال النبى ﷺ : « أحب الأسماء إلى الله تعالى

عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة » وقوله تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [الفتح : ٢٩]

ومما يؤيد هذا المعنى ولو بالتأويل دون التفسير، وأباح الإسلام لنا أن نتسمى بأسماء الأنبياء وحواريهم على نحو ما جاء فى الصحيحين.

« تسموا بأسماء الأنبياء وإنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم فأحسنوا أسماءكم » .

ذلك لأن أسماء الأنبياء والرسل لا تنتمى إلى الكفر بالله، ولا إلى ما يقدح فى شرف وظيفتهم أو ينال من كرامتهم .

بل منها ما يدل على منبتهم ونشأتهم وأفعالهم ، كآدم عليه السلام لأنه مأخوذ من أديم الأرض ولونه، وهذا صحيح لأن الله خلق آدم من تراب .

وموسى سمى بذلك لأنه ملتقط من بين الماء والشجر وأصله فى العبرانية موشى، ونوح سمى بذلك لكثرة نياحه على قومه .

وإدريس لكثرة دراسته الصحف . وقد قيل إنه أول من خط

فى الصحف، ومنها ما يدل على التفاؤل بهم، كإسماعيل ويحيى ويونس ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ومنها ما يدل على صفتهم كإبراهيم بمعنى أب رحيم أو شديد النظر(١).

وإسحاق بمعنى الضحاك، وهرون بمعنى المحبب.

وعند ظهور الإسلام كان العرب يتسمون بأسماء متنوعة منها الحسنة، ومنها القبيحة. وكان النبى يبقى من أسلم على اسمه إذا كان لا يدل على ما يستهجن، ولا يمت إلى الأوثان بصلة ولا يدل على التزكية.

لم يغير النبى من أسماء الناس إلا قليلاً كزينب وقد قيل إن اسمها كان بره، وكانت تزكى نفسها فسماها النبى زينب.

وأن ابنة لعمر بن الخطاب كان اسمها عاصية، فسماها النبى جميلة.

وكان رجل يدعى حزن بن سعد فسماه النبى سهلاً.

---

(١) أورده السيوطى فى الإتقان والسجاعى فى شرح أسماء الرسل، وفيه نظر لأن ذلك يتوقف على إثبات مدى علاقة هؤلاء الرسل الكرام باللغة العربية.

وقوم يسمون بنى الزنية، فسماهم النبى بنى الرشدة .

وشعب الضلالة سماه النبى شعب الهدى، وهكذا .

وكره النبى بعض الأسماء ثم روى أنه رجع عن كراهته قبل مماته، وفى ذلك قوله « لا تسمين غلاماً يساراً ولا رباحاً ولا نجاحاً ولا أفلح، فإنك تقول أثم هو فلا يكون فيقول لا » وهذا من باب التفاؤل .

أما الأسماء التى نهى الإسلام عنها فهى كل ما هو قبيح أو ذم ، وقد نهى عن تلقيب الإنسان بما يكرهه سواء كان صفة له أو اسماً أو كنية، كالأعمش والأعمى والأصم والأقرع والأعرج والأبرص وغير ذلك : وعليه قال القرآن :

﴿ **وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ أى لا يعب بعضكم بعضاً بالأسماء .

ومن الغلط الخفى الشائع عندنا فى غرب أفريقيا تسمية بعض الناس بأسماء البلاد التى لا يعرفونها ولا ينتسبون إليها إطلاقاً، وإنما أخذوها مدرجة مع أسماء بعض الأولياء والعلماء الصالحين كالسيوطى لعبد الرحمان والغزالى والبدماصى والرفاعى

لمن اسمه أحمد والدسوقى لإبراهيم والغدامسى والبوصيرى والمحلى والبغدادى والتهامى والسنوسى. ونحو ذلك.

فالأفضل الرجوع إلى أصل الأسماء ونبذ الانتساب إلى البلاد التى لا ينتمى إليها غير أهلها، وفى أبى داود أن أبا عقبة وكان مولى الأنصار من أهل فارس، قال: شهدت مع رسول الله ﷺ أحداً، فضربت رجلاً من المشركين فقلت: خذها منى وأنا الغلام الفارسى، فالتفت إلىَّ رسول الله ﷺ فقال: «هلا قلت خذها منى وأنا الغلام الأنصارى؟».

وفى غرب أفريقيا ألقاب ترادف أسماء معينة، وتكون هذه الألقاب بالمحلية، وقد جوز العلماء منها ما كان خالياً من العيوب ومن الجاهلية.

وفى اللغة الفلاتية أمثال بللو وثنبو وغطاط من أسماء الرجال، وأمثال غوغو ونانا من أسماء النساء.

وفى اللغة الهوساوية أمثال غربا وناله ودودو وإيتو من أسماء الرجال.

وفى اللغة اليوربوية أمثال أيندى وأينلا وأديسا.

والقاعدة الأساسية التى تراعى فى هذه الألقاب الأعجمية أن تكون معانيها خالية من آثار الوثنية ومن التزكية ومن العيوب.

* * *

محاربة الأسماء العربية فى غرب إفريقيا

من الغزو الثقافى المنظم على الإسلام فى هذه البلاد محاربة الأسامى العربية التى حمل لواءها المبشرون ولم يتفطن لها الأكثرون بل تبعهم فى ذلك كثير من المسلمين المثقفين فى كل مكان. ويلحق بذلك تعجيم الأسماء العربية بالتحريف البعيد عن الاسم على وجه الترخيم أو النحت وذلك مما يجب أن يحارب.

ولقد دعا إلى ذلك دعاة القومية والوطنية بأن من شأن من يخلع عن نفسه ربقة الاستعمار، أن يخلع تبعاً لذلك الأسماء الأجنبية، حتى ولو كانت قد سميت من قبل الكنائس والمساجد. فنبذ أكثرهم هذه الأسماء الدينية ورجعوا إلى الأسماء المحلية فتبعهم من لا يعرف من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن حتى رسمه فرجعوا إلى أسماء أجدادهم وأسلافهم المشتقة من

الأوثان أو من العقائد التوتمية، وقد نهى الإسلام عنها بقوله:

﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ﴾ [الحجرات : ١١]

وتوجد هذه الأسماء الجاهلية بكثرة فى بلاد يوربا وهى التى تمت بصلة إلى الآلهة التى كانوا يعبدونها من دون الله فى الجاهلية، ويعتقدون أنهم منحدرون من تلك الأصنام .

مثل أوغن ومعناه الحديد المعبود، وأوبا أو شون إله البحر أو النهر المعبود، ومثل أوشو بمعنى الإله العائن، ومعنى أفابنى الإله الكاهن وشنغو بمعنى إله الرعد، فتجد بعض الحجاج وبعض الزعماء الإسلاميين فى بلاد يوربا حتى اليوم لا يزال يرادف هذه الأسماء باسمه على أنها أسماء أجداده فيجب أن يحتفلوا بها لأنها أصلهم ونشأتهم.

أليس من حسن إسلام المرء أن يبتعد عن آثار الكفر والوثنية فى كل شىء حتى لا يجد مكاناً بين المسلمين قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٨] .

والمبشرون مخادعون إنهم يتحينون فرصة غفلة المسلمين

أو يستغفلونهم فى هذا الصدد حتى إذا جاء زمن إحصاء السكان استدلوا بتلك الأسماء على نقصان عدد المسلمين وكثرة الوثنيين، ثم إنهم قد حملوا أولاد المسلمين على تغيير أسمائهم فى المدارس الثانوية والجامعة لتنصيرهم ، ولهذا يجب على الدعاة أن ينبهوا المسلمين على هذا الشرك الدقيق.

* * *

سمات الوجوه والخدود

ومن التقاليد الجاهلية التى نهى عنها الإسلام الوشم والوسم.

أما الوشم : فهو غرز إبرة ونحوها فى أى موضع من أجزاء الجسد، حتى يسيل منه الدم ثم يدر عليه شيء نحو الكحل فيخضر.

أما الوسم : فهو الكى بقطعة من الحديد تحمى بالنار يكوى بها.

ولقد كانت هذه العادة شائعة فى مختلف أنحاء العالم قبل الإسلام.

وكانت نساء العرب يرسمن على أجسامهن بالسكين صور

الحيوانات أو النباتات، حتى لا يتركن فراغاً فى أجسامهن إلا وفيه وشم.

وإلى ذلك يشير طرفة بن العبد فى معلقته :

لخـولـة أطـلال ببرقة ثهمد تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

والوشم فى الوجه عادة متأصلة عند أهل نيجيريا وبلاد النوبة والبربر والسودان العربى، وهو رسم خطوط هندسية بالسكين على الوجوه أو الخدود لتكون علامة تمتاز بها كل قبيلة أو عشيرة، ثم انقلبت هذه العلامة إلى زينة.

ولقد حاربها الإسلام حتى لم يبق منها إلا القليل .

ذلك لأن الإسلام نهى عن الوشم فى الوجوه. منها ما رواه مسلم : «أن النبى ﷺ نهى عن الضرب فى الوجه وعن الوشم فيه».

وأنه ﷺ قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات».

ومر بالنبى ﷺ بحمار وقد وسم فى وجهه فقال: «لعن الله الذى وسمه» رواه الترمذى.

أما الوسم فى ظهر الدابة للعلامة فقد ورد فيه الرخصة

حيث ورد عن أنس أن أمه أمرته أن يذهب إلى النبى ﷺ بأخيه فيحنكه فوجد النبى فى البستان وهويسم ظهر الإبل التى قدمت عليه من فتح مكة وحنين» رواه مسلم.

* * *

التحايا الجاهلية

للعرب فى جاهليتهم تحايا كثيرة تحمل تفاؤلات جمة وتمنيات عامة، وأصلها الدعاء بالخير والحب منها قولهم:

عم صباحا: فى الغداة. وعم مساء: فى الرواح. وعم ظلاما: فى الليل. ولم يرد غير ذلك.

والكلمة أمر من وعم يعم بمعنى نعم ينعم. ويروى أنعم صباحا.

ومعناه الدعاء بالنعيم والسلامة من الآفات، ومنه قول امرئ القيس:

ألاعم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

ومن التحايا الجاهلية الخاصة بالأمراء والملوك قولهم:

أبيت اللعن: بمعنى أبيت أن تأتى ما تلعن عليه، كقول النابغة حين يعتذر إلى النعمان:

أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى وتلك التى أهتم منها وأنصب

ولما جاء الإسلام أبدل تلك التحايا بأنواع الأدعية المقرونة باسم الله تعالى، أولها السلام، وهو اسم من أسماء الله تعالى وقال فى القرآن:

﴿ **فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً** ﴾ [النور: ٦١].

وهى «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وفى الصحيحين: «أن آدم عليه السلام لما خلقه الله قال: اذهب إلى أولئك النفر من الملائكة فسلم عليهم، واستمع إلى ما يحيونك به فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله».

لهذا جاء القرآن وقال: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** ﴾ [النساء: ٨٥].

تلك هى تحية أهل الإسلام فى دار السلام ﴿ **وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً** ﴾ [الفرقان : ٧٥] .

أما صباح الخير ومساء الخير، فإنها مستوردة من الغربيين، وعودة إلى تحايا الجاهلية مثل عم صباحا، وعم مساء. فليس فيها اسم الله والأحسن أسعد الله صباحك ومساءك.

أما تحايا الملوك ، فالأحسن صرفها على صيغة الدعاء بأسماء الله مثل : أطال الله بقاءك وعافاك الله.

* * *

التعبد بالمكاء والتصدية من الجاهلية

قال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾ [الأنفال : ٣٥] .

والمكاء : الصفير ، **والتصديد** : التصفيق.. والمعنى ليس للمشركين عند البيت الحرام صلاة إلا الصفير والتصفيق فقط، هذا على سبيل العبادة.

أما ما كان على سبيل العادة فالتصفيق هو الضرب باليد على اليد الأخرى، وأصله عند العرب أنهم إذا تعاقدوا فى البيع

ضرب أحدهما بيده على يد صاحبه وقال: بارك الله فى صفقة يمينك، ومنه قولهم: احذر صفقة المغبون.

ثم سرت إلينا فى العصر الحديث عادة الإفرنج أن يصفقوا إذا ابتهجوا بكلام فى محاضراتهم أو برؤية محبوب فى مجتمعاتهم، وسرت العادة إلى بلاد الإسلام فأخذوا بها. فقام العلماء ينكرون ذلك بحجة أنها عادة الكفار، وقد أمرنا بمخالفتهم فيما يفعلون.

والعادة الإسلامية أن يكبر المسلمون إذا رأوا أو سمعوا ما يسرهم، كما ورد ذلك فى الأحاديث.

منها ما روى مسلم عن عبد الله قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قال فكبرنا، ثم قال: أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قال: فكبرنا، ثم قال: إنى أرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة».

وذهب بعضهم إلى أنه لا بأس بذلك إذا جمعنا وإياهم مجتمع، لأن التصفيق فى حد ذاته ليس بحرام خارج الصلاة على سبيل العادة بل مأذون فيه للنساء وهن فى الصلاة، فقد جاء فى صحيح البخارى: «أن أبا بكر تقدم للصلاة يوماً فى غياب

النبى ﷺ لمصلحة ولما رجع أدرك النبى أبا بكر فى الصلاة فانتظم فى الصف، فصفق الناس حتى التفت أبو بكر فرأى النبى ثم تراجع رغم إذن النبى له فى التمادى بصلاته فأبى حتى تقدم النبى وصلى بهم. ولما فرغ قال: مالى رأيتكم أكثرتم التصفيق من رابه شيء فى صلاته فليسبح ، فإنما التصفيق للنساء والتسبيح للرجال».

وعلى هذا الأساس كان التصفيق جائزاً للنساء فى الصلاة ، فلا يكون حراماً خارج الصلاة للرجال والنساء على السواء.

ولكن الأفضل هو التمسك بالعادات الإسلامية، حيث كان النبى يكبر فى كل ما يبعث التعجب والسرور ، ويسترجع ويحوقل فى كل ما يبعث الأسى والشجن.

* * *

أعياد الجاهلية(١)

فى الجاهلية أعياد متنوعة منها ما يعود إلى العرب المشركين أنفسهم، ومنها ما هى فى الأصل من بقايا الحنيفية، ومنها ما هى من أعياد أهل الكتاب.

أما أعياد أهل الكتاب فعن عائشة رضى الله عنها قالت: كانت قريش تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية وكان رسول الله ﷺ يصومه فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصومه، فلما فرض صوم شهر رمضان قال: «من شاء صامه ومن شاء تركه». متفق عليه.

---

(١) ومما يلحق اليوم بالأعياد الجاهلية ما استورده المسلمون من الغرب من إقامة عيد ميلاد الأولاد كل سنة، بحيث يقيمون للصبى الصغير حفلة فاخرة يدعون إليها زملاءه فى المدرسة وجيرانهم وينفقون فيها أموالاً طائلة كما يتقبل هذا الصبى من أولئك الأصدقاء هدايا كثيرة بهذه المناسبة فإن إقامة أعياد الميلاد من شعائر النصارى واليهود كما فى كتبهم.

أما إقامة ذكرى المولد النبوى فقد تكلم فيها العلماء منهم المنكرون لها ومنهم المبيحون وأنا لا أرى بأساً فى إباحتها ما لم يكن فيها إثم يرتكب، وذكرى المولد النبوى كذكرى الهجرة النبوية وهما أجدر بالتعظيم والإحياء.

أما أعياد الجاهلية فمنها ما رواه أبو داود وغيره :

« أن النبى ﷺ لما قدم المدينة مهاجراً وجد لهم يومان يلعبون فيهما، فقال ما هذان اليومان ؟ قالوا: كنا نلعب فيهما فى الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ : إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر».

أما أعياد الحنيفية فهى أعياد الحج وأشهر الحرم.

وفى الحديث الذى رواه البيهقى أن النبى ﷺ قال فى حجة الوداع: « أوصيكم بتقوى الله أى يوم أحرم من هذا؟ قالوا: هذا. ثم قال فأى شهر أحرم؟ قالوا هذا. قال فأى بلد أحرم؟ قالوا هذا البلد قال فإن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا وفى بلدكم هذا».

وحاصله أن تحريم الأشهر بعدم القتال فيها كان من شريعة إبراهيم.

وكان حكماء العرب يحافظون على هذه الحرمة حتى جاء منهم من ابتدع النسيء وذلك بأن أحل منها ما شاء وحرم منها

ما شاء فجاء القرآن يقول: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ [التوبة : ٣٧] .

ثم نزلت آية أخرى تحقق تحريم الأشهر بقوله تعالى:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ .

* * *

obeikandl.com

بقايا الحنيفية فى الجاهلية

قال النبى ﷺ : « الناس معادن، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » متفق عليه .

قال السيوطى فى شرح الموطأ نقلاً عن الباجى : كانت العرب أحسن الناس أخلاقاً بما بقى عندهم من شريعة إبراهيم فى الفضل والمروءة والإحسان والعدل، وكانوا ضلوا بالفكر عن كثير منها فبعث الله النبى ليتمم محاسن الأخلاق ببيان ما ضلوا عنه وبما خص به فى شريعته وقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وروى عن ابن عباس أنه قال : ثلاثة أخلاق كانت فى الجاهلية مستحبة والمسلمون أولى بها : **أولها** : لو نزل بهم ضيف لاجتهدوا فى بره .

والثانى : لو كانت لواحد منهم امرأة كبرت عنده لا يطلقها بل يمسكها مخافة أن تضيع .

والثالث : إذا لحق بجارهم دَيْن أو أصابه شدة أو جهد، اجتهدوا حتى يقضوا دينه وأخرجوه من تلك الشدة.

وعن الحكيم الترمذى قال: مكارم الأخلاق عشرة تكون فى الرجل ولا تكون فى ابنه وتكون فى الابن ولا تكون فى الأب، وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله لمن أراد به السعادة وهى: صدق الحديث، وصدق البأس، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، والتذمم للجار، وحفظ الأمانة، وصلة الرحم ، والتذمم للصاحب، وإقراء الضيف، ورأسهن الحياء.

وروى مسلم عن عروة بن الزبير أن حكيم بن حزام أعتق فى الجاهلية مائة رقبة وحمل على مائة بعير، ثم أعتق فى الإسلام مائة رقبة وحمل على مائة بعير.

ثم أتى النبى ﷺ وقال: يا رسول الله أرأيت أموراً كنت أتحنث بها فى الجاهلية من صدقة أو عتق رقبة أو صلة رحم فيها أجر؟ فقال رسول الله ﷺ: «أسلمت على ما أسلفت من خير» يعنى هداك الله إلى الإسلام بفضل ما أسلفت من خير.

ووقعت بنت حاتم الطائى أسيرة فى يد جنود المسلمين، ولما جىء بها إلى النبى ﷺ قالت: يا محمد هلك الوالد وغاب الرافد، فإن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فإن أبى سيد قومه كان يفك العانى ويحمى الذمار ، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام ويفشى السلام ، ولم يطلب إليه طالب نظر حاجة فرده .

أنا ابنة حاتم الطائى .

فقال النبى ﷺ : « يا جارية هذه صفة المؤمن ، ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله تعالى يحب مكارم الأخلاق » .

* * *

الأكل بالشمال من الجاهلية

لقد اعتاد الناس فى هذا الزمان أن يأكلوا وأن يشربوا بشمالهم على موائد الطعام ، حتى أصبح المسلم والكافر والعالم والجاهل سواء فى هذه العادة .

وإذا قيل لهم : إن الأكل بالشمال منهى عنه فى الإسلام .

قالوا : إنما نأكل اليوم بالملاعق والأشواك لا نأكل بالأصابع مباشرة وإنما نهى النبى ﷺ عن الأكل بالشمال لأنها لمقابلة الأذى فى الاستنجاء.

وهذا مما يجب التنبه إليه عليه واجتنابه لما جاء فى زاد المعاد[١] لابن القيم: وكان النبى يأمر بالأكل باليمين وينهى عن الأكل بالشمال، ويقول: إن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ثم قال: ومقتضى هذا تحريم الأكل بها وهو الصحيح، فإن الآكل بها إما شيطان وإما مشبه به . وصح عنه أنه قال لرجل أكل عنده فأكل بشماله « كل بيمينك فقال لا أستطيع. فقال: لا استطعت » فما رفع يده إلى فيه بعدها، ولو كان جائزاً لما دعا عليه النبى ﷺ بفعله وإن كان كبره حمله على ترك امتثال الأمر، فذلك أبلغ فى العصيان واستحقاق الدعاء عليه .

* * *

(١) زاد المعاد ٢ / ٦٠.

الختان من بقايا الحنيفية فى الجاهلية

الختان سنة إبراهيمية أخذ بها العرب وغيرهم ، وكانت جارية فيهم ، وكانوا يختنون الطفل قبل بلوغه الحول الأول، وربما عملوا مع الختان عوائد أخرى غيرمعقولة، وجاء الإسلام وقرر الختان للرجال والخفاض للنساء، وجاء فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال: «اختتن النبى إبراهيم بالقدوم وعمره ثمانون سنة». متفق عليه.

* * *

العقيقة من بقايا الحنيفية فى الجاهلية

روى أبو داود عن بريدة قال: «كنا فى الجاهلية إذا ولد لأحدنا غلام ذبح شاة ولطخ رأسه بدمها. فلما جاء الإسلام كنا نذبح شاة ونحلق رأسه ونلطخه بزعفران» وروى البيهقى عن عائشة قالت: «كان أهل الجاهلية يجعلون قطنة فى دم العقيقة ويجعلونه على رأس الصبى فأمر النبى أن يجعل مكان الدم خلوقاً».

* * *

تقنع النساء من بقايا الحنيفية

فى التوراة ما يدل على شرعية التقنع لنساء الأنبياء، من ذلك ما جاء فى الإصحاح الرابع والعشرين من التكوين: أن رفقة أخذت البرقع وتغطت لقدوم إسحاق عليها قبيل أن يتخذها زوجة.

وجاء فى التكوين أيضاً فى الإصحاح الثامن والثلاثين : أن ثامار تغطت ببرقع لما رأت يهوذا حتى كان ما كان من أمره معها، ولهذا بقيت آثار البرقع والحجاب عند أهل الكتاب حتى اليوم . كما هى واضحة عند راهبات النصارى.

وظلت هذه العادة تحتفظ بها العرب فى الجاهلية ومنها ما جاء فى كتب التاريخ والأدب:

أن النابغة أحد فحول الشعر الجاهلى الذى نال حظوة عظيمة عند النعمان ملك العرب فى الحيرة، ذكروا أن الذى أفسد ذات بينهما أنه مرت امرأة النعمان المسماة بالمتجردة فى مجلس فسقط نصيفها أى برقعها الذى كانت قد تقنعت به فسترت

وجهها بذراعيها وانحنت على الأرض ترفع النصيف بيدها الأخرى، فطلب النعمان من النابغة أن يصف هذه الحادثة فى قصيدة فعمل القصيدة التى مطلعها:

أمن آل مية رائح أو مغتدى عجلان ذا زاد وغير مزود

إلى أن قال:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد
بمخضب رخص كأن بنانه عنم على أغصانه لم يعقد

واستطرد فى الوصف حتى ذكر بطنها ومتنها وردفها وفرجها بقوله:

وإذا طعنت طعنت فى مستهدف رابى المجسة بالعبير مقرمد
وإذا نزعت نزعت عن مستحصف نزع الحزور بالرشاء المحصد
وإذا لمست لمست أخثم جاثما متحيزا بمكانه ملء اليد

وكان للنعمان نديم يقال له المنخل، وكان يتهم بالمتجردة حتى يظن بولدى النعمان منها أنهما من المنخل، ولما سمع المنخل هذا الشعر قال للنعمان: ما يستطيع أن يقول مثل هذا الشعر إلا من قد جرب وذاق وثبت ذلك فى نفس النعمان وأوعد النابغة

شـرا، فلمـا بلغ الخبـر النابغـة هرب إلى بلاط الغـسـاسنة بالشـام يمدحـهم ولـم يزل مع ذلك يبـعث بقـصـائد الاعـتـذار إلى النعـمـان وقال فى بعضها :

لكلفتنى ذنب امرئ وتركته كذى العريكوى غيره وهو راتع

ومما يدل على أن هذا الحجاب كان لخيار الناس فى الجاهلية قول امرئ القيس:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل

* * *

obeikandl.com

التواضع الجاهلى فى نيجيريا وما حولها

لا تزال فى نيجيريا وما حولها من رواسب الجاهلية ما يسمونه بالتواضع، منها خلع النعال والانبطاح والسجود للتحية ونحوها من عادات ممقوتة فى دين الله، بالية مهجورة فى دنيا الناس، ولكنها باقية ومحببة إلى الأمراء والملوك والكبراء فى نيجيريا إلى اليوم .

ولا يستطيع أى واعظ أن يعلن إنكار ذلك على مسمع الأمراء ومرآهم إلا إذا رضى بأن يهتكوا عرضه أو يفتوا بكفره أو يهدروا دمه ، ثم استنزال لعنة الله والملائكة والناس على حياته أو موته وهم يحسبون أنهم يحسنون للأدب والتواضع والإسلام صنعاً .

ومن العلماء من يستحسن تلك التقاليد عن جهالة ، وعماية ومنهم من يستحسنها عن بصيرة ودراية ممالأة لتمادى الدهماء على تكريمهم بها وتمادياً مع الأمراء فى كبريائهم :

وإذا ضلت العقول على علم فمـــاذا تقولـــه النصحـــاء

لقد وجدنا من العلماء من يختلقون لهذه التقاليد حديثاً مكذوباً على النبى ﷺ وغير معروف عند أهل الحديث هو قولهم: «عادة أهل البلد كالسنة».

أو يقولون بتأويل الحديث «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن» أو يذهبون إلى تأويل السجود لغير الله بأنهم لا يقصدون به التقديس والعبادة، وإنما يقصدون التواضع والاحترام، ويقولون: إنما الأعمال بالنيات.

ولقد نظمت فى ذلك أبياتاً وألزمت الفوج الأول من طلاب مركز التعليم العربى حفظها، فكانت أول حملة إصلاحية قاموا بها فى المجتمع الإسلامى وهى:

ويح قومى جهلوا معنى الحيا وأساءوا فيه ختما وابتداء
هكذا قد جهلوا التواضعا وبنوه فى سجود وانحناء
خلع نعل جعلوه واجبا لهمو قبل وصول للفناء
كل من خالفهم فى هذه وصفوه بالذى منه براء
جعلوه كافراً لدينهم واستعدوا لقتال واعتداء
والتواضع الذى نعرفه مثل ما فى العقل أو شرع السماء

بقبول الحق من كل أحد واجتناب جرثوب الخيلاء
واحترام الغير فى حد النهى واحتقار النفس لا كالحمقاء
والحياء الحق أن تسألنى ما يقيك العار عند العقلاء
وبقى من كل فحش وخنا غير هذا لا يسمى بالحياء

وكل ما تبقى فى نيجيريا اليوم من عادات خلع النعال للتحية أو الانبطاح أو السجود أمام الأكابر أو الملوك إنما هى من رواسب الجاهلية التى ما أنزل الله بها من سلطان، بل هى من نزوات الشياطين وشهوات السلاطين الذين نصبوا أنفسهم آلهة يعبدون من دون الله.

وجاء العلماء واستحسنوها بدلاً من أن يستنكروها واعتبروها أدباً وتواضعاً بدلاً من أن يعتبروها ذلة وجهالة وكفراً، بل اعتبروا الخارج عليها شيطاناً متكبراً جديراً بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فيا عجبا قال الشاعر :

وفى الناس من عد التواضع ذلة وعد اعتزاز النفس من جهله كبرا

ومن العلماء من يطوون قلوبهم على كره هذه العادات وعلى استهجانها، ولكنهم لا يملكون من الأمر شيئاً ولا يجدون

مفراً ولا ملجأ من فعلها لمن لا يرضى إلا بفعله، وأنا من أولئك النفر الذين يرضخون قسراً على فعلها لهم ويعتمدون فى ذلك على الحديث القائل: «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

* * *

سجود التحية

السجود: لغة الخضوع والتطامن.

واصطلاحاً: وضع الجبهة على الأرض.

وعلى هذا المعنى الأخير يكون السجود لغير الله كفراً صريحاً بدليل قوله تعالى:

﴿ **لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ [فصلت: ٣٧].

وقوله: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً** ﴾ [الجن: ١٧]

والمساجد أمكنة الصلاة الجامعة لعدد كبير من الناس.

والمساجد أيضاً أعضاء السجود، وهى اليدان والرجلان والركبتان والجبهة، كما فى الحديث.

وروى أبو داود: «أن معاذاً قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم فلما رجع سجد لرسول الله ﷺ فقال له ما هذا يا معاذ؟ فقال: إني رأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلمائهم وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول الله، فقال: لا لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» لعظم حقه عليها.

وفي رواية أخرى: أن سلمان لقي النبي ﷺ في بعض طرق المدينة وكان سلمان حديث عهد بالإسلام فسجد للنبي ﷺ فقال له «لا تسجد لي يا سلمان واسجد للحي الذي لا يموت».

وبتلك الآيات وهذه الأحاديث ثبت جليًّا أن السجود لغير الله حرام، وليس الأمر كما يزعم بعض علمائنا أن سجود التحية غير سجود العبادة، ويستحلون سجود التحية بقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٣٤].

وبقوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا**﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقد رجح المفسرون ومنهم ابن كثير: أن كل ذلك كان جائزاً فيما مضى ثم نسخ بالإسلام.

الجُثُوُّ على الركب للاستعطاف

أما خضوع الرقاب وانحناء الظهر والجثو على الركب فجائز إذا لم يكن فاحشاً وكان الجمع جلوساً على السواء من غير أن يكون الجاثي نازلاً سافلاً وغيره متعالياً عليه(١) لأنه كان بين أبي بكر وعمر كلام شديد، فذهب إليه أبو بكر فسأله أن يغفر له فأبى عليه ثم ندم عمر على ذلك، فأتى منزل أبي بكر فلم يجده ثم أتى إلى النبي ﷺ فوجده هناك، فظهر الغيظ في وجه النبي حتى أشفق أبو بكر على عمر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله أنا كنت أظلم. رواه أبو داود.

قلت: ولما جثا أبو بكر ولم يُنكر عليه النبي ﷺ علم جوازه للضرورة، وجاء أن النبي ﷺ صلى بأصحابه الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة وما فيها ثم قال: «من أحب أن يسأل عن

---

(١) وألا يكون المقصود به التعظيم والتقديس والمسلم الحق ينزه نفسه عن كل هذه الأساليب الجاهلية، ولا يعبأ إلا بالأسلوب المأثور عن سلف الأمة في حياتهم وتعاملهم.

شيء فليسأل عنه فوالله لا تسألونى عن شيء إلا أخبرتكم ما دمت فى مقامى هذا. قال أنس: فأكثر الناسُ البكاءَ حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ فأكثر رسول الله أن: يقول سلوا: فبرك عمر على ركبتيه وقال: رضينا بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، فسكت رسول الله، ثم قال رسول الله: أما والذى نفس محمد بيده لقد عُرضت علىَّ الجنة والنار فى عرض هذا الحائط وأنا أصلى، فلم أر كاليوم فى الخير والشر». متفق عليه.

خَلعُ النعال

من الجاهلية التى عمت بها البلوى عندنا من غير استثناء عاقل من جاهل ولا عابد من معاند، ولا صالح من طالح عادة خلع النعال قبل السلام على الأمير أو الكبير حتى فى الشارع، وذلك لأن النعال والمظلات والقلانس وسائر الملابس الفاخرة كانت تعتبر من سيما الامتياز الاجتماعى فى القرون الوسطى، تمتاز بها الطبقات الراقية من الملوك والأمراء والكبراء والأغنياء ولهذا قال الجاحظ فى البيان والتبيين[١]: إن الناس كانوا ينزعون نعالهم خارجاً إذا دخلوا على الملوك.

---

(١) ج١٣، ١١.

ولما جاء الإسلام نسخ كل ذلك بقوله تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

[الأعراف : ٣٢]

وعن النبي ﷺ قال: « استكثروا من النعال فإن الرجل لا يزال راكباً ما انتعل » رواه مسلم.

وفي موطأ الإمام مالك « أن رجلاً نزع نعليه فقال كعب الأحبار لم خلعت؟ لعلك تأولت هذه الآية: ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾.

ثم قال كعب للرجل: أتدرى مم كانت نعلا موسى؟ قال لا أدرى. قال كعب: كانا من جلد حمار ميت.

هذا وإن كان خَلعُ النعال للصلاة مشروعاً في شريعة موسى عليه السلام، فإنه منسوخ في الإسلام بما رواه البخاري من أنه حين سئل أنس رضي الله عنه « أكان النبي ﷺ يصلي في نعليه قال نعم »!

وعن أبي سعيد الخدري « أنه بينما رسول الله ﷺ يصلي

بأصحابه رضوان الله عليهم إذ خلع نعليه فوضعهما على يساره فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم فلما قضى صلاته قال: ما حملكم على إلقاء نعالكم؟ قالوا: رأيناك ألقيت فقال عليه الصلاة والسلام: إن جبريل أتانى فأخبرنى أن فيها قذراً، فإذا جاء أحدكم المسجد فلينظر فإن رأى فى نعليه قذرا فليمسحه وليصل فيهما». رواه أحمد وأبو داود.

فيؤخذ من ذلك أن خلع النعال القذرة عند دخول الأمكنة الطاهرة واجب سواء كان بيتاً من بيوت الله أو بيوت الناس.

أما خلع النعال مطلقاً فى البيت والشارع لتحية أحد فلا يدخل فى الشرع ولا فى العقل، فإن النعل هى وحدها التى تمس الأرض وتقابل الأذى وتحمى القدمين من كل مضرة فلا معنى لتعريضها إلى الأذى والله يقول: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ [البقرة: ١٩٥].

أما من ينشرح صدراً لمن يخلع النعل من أجله فهو أسوأ حالاً ممن سره أن يتمثل الناس له قياماً وقد أعده النبى ﷺ بقوله: «من أحب أن يتمثل الناس له قياماً فليتبوأ مقعده من النار». رواه أبو داود.

أما خضع الرقاب أمام كبير أو عظيم فقد ورد ما يدل على جوازه فى بعض أحوال، وبه فسر بعض المفسرين سجود الملائكة لآدم وسجود الأبوين ليوسف، وكان الصحابة يخضعون رقابهم فى حضرة رسول الله ﷺ.

إذ وردت كثير من الأحاديث تصفهم بأنهم جلسوا وكأن على رؤوسهم الطير، منها ما رواه البخارى أن رسول الله ﷺ قام على المنبر فقال: «إنما أخشى عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من بركات الأرض، ثم ذكر زهرة الدنيا فبدأ بإحداهما وثنى بالأخرى. فقال رجل: يا رسول الله أيأتى الخير بالشر؟! فسكت عنه النبى ﷺ، قلنا يوحى إليه، وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير». إلخ.

ومن ذلك ما رواه أصحاب السنن عن أسامة بن شُرَيكِ قال: أتيت النبى وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير فسلمت ثم قعدت فجاء الأعراب من هاهنا وهاهنا، فقالوا يا رسول الله أنتداوى، قال ﷺ: «تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد وهو الهَرَمُ».

ومما مدح به الإمام مالك رضى الله عنه قول الشاعر:

يأبى الجواب فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

* * *

الانبطاح

هو ارتماء الإنسان بصدره وبطنه على الأرض تذللا وانكساراً وطلبا لمرضاة أمير أو كبير أو سلطان أو ملك أو وزير.

ولقد كانت عادة الانبطاح والتمرغ فى التراب للملوك والعظماء شائعة فى غرب إفريقيا وفى نيجيريا، ويكون ذلك أحياناً بكل ما على الشخص من الملابس ويكون أحياناً بعد تجرده من الملابس وهذه جاهلية نكراء.

ولقد جاء فى رسالة الإمام مالك لهارون الرشيد (لا تضطجع على بطنك إذا نمت ولا فى غير نومك، بلغنى عن النبى ﷺ أنه قال: «إنها لضجعة يبغضها الله».

وروى البخارى فى أدبه وأبو داود فى سننه عن ابن طخفة

الغفارى «أن أباه أخبره أنه كان من أصحاب الصفة قال: بينما أنا نائم فى المسجد من آخر الليل أتانى آت وأنا نائم على بطنى فحركنى برجله فقال: قم هذه ضجعة يبغضها الله، فرفعت رأسى فإذا النبى قائم على رأسى»، وفى رواية أخرى قال: «قم نومة جهنمية».

لقد حارب العلماء عادة الانبطاح فى الأوساط الإسلامية بنيجيريا، فاندرست ولم تبق إلا عند الكفار وعند بعض المسيحيين الذين يختلطون بالكفار الذين كانوا عليها ولا يزالون يحتفظون بها، كشعار تعظيم العظماء والسلاطين والأمراء، ثم صار من الجاهلية الثانية، ومن البلايا التى يريدون إحياءها ونشرها بين الناس اليوم باسم التقاليد الوطنية والآداب الاجتماعية وتعظيم الكبراء.

حقيقة التواضع:

قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إنى أوحى إلىَّ أن تواضعوا ألا فتواضعوا، حتى لا يبغى أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد، وكونوا عباد الله إخواناً».

قال الراغب الأصفهانى: التواضع رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقه بفضله وبمنزلته، وهو فضيلة لا تكاد تظهر فى أسافل الناس لانحطاط درجتهم وإنما تتبين فى الملوك وأجلاء الناس وعلمائهم وهو من باب التفضل لأنه يترك بعض حقه.

وجاء فى الحديث «أن رأس التواضع أن تبدأ بالسلام من لقيت وترد السلام على من سلم عليك وأن ترضى بالدون من المجلس»(١).

وطوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل فى نفسه من غير مسكنة وأنفق من مال جمعه فى غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة ورحم أهل الذل والمسكنة. أخرجه السيوطى.

وسئل الجنيد عن التواضع فقال: إنه خفض الجناح ولين الجانب.

وسئل عنه الفضيل بن عياض فقال: أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبى قبلته، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته، ومن رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب.

---

(١) رأيت هذا الحديث فى أحد الكتب ولم أقف على تخريجه، ولكن معناه صحيح يؤيده أحاديث وآثار أخرى فى الإحياء للغزالى.

وقال يوسف بن أسباط : التواضع أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحداً إلا رأيته خيراً منك .

وقال ذو النون المصرى : ثلاث من علامات التواضع :

تصغير النفس مقروناً بعيب، وتعظيم الغير حرمة للتوحيد ، وقبول الحق والنصيحة من كل أحد .

وقال أبو يزيد البسطامى : ما دام العبد يظن أن فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر، وإنما يكون متواضعاً إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالة من علمه بشر نفسه وازدرائها . ولا يرى فى الخلق شراً منه، قال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك فى الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل .

تلك هى التعريفات الجامعة المانعة لمعانى التواضع وحقيقته فى الإسلام، وكل ما عدا ذلك فليس تواضعاً، وإنما هو تجاهل يجب أن يحاربه الدعاة .

* * *

آداب الإسلام مع العظماء

للأمم المتمدينة والشعوب المتحضرة فى غير نيجيريا من الأقطار الإسلامية وغير الإسلامية ملوك وأمراء وعلماء وكبراء يعظمهم أتباعهم وأشياعهم ويكرمهم رعاياهم أكثر مما نعظم ملوكنا ونكرم علماءنا وكبراءنا فى نيجيريا وما حولها .

من غير أن يخلعوا النعال أمامهم ولا أن ينكبوا على وجوههم كما نفعل نحن فى بلادنا هذه فأينا على الهدى والصواب؟

﴿ **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الملك : ٢٢].

أفلا ينبغى للمسلم الصحيح أن يقتصر فى الأدب مع الكبير على آداب الصحابة مع النبى ﷺ؟ وهى معروفة فى كتب السيرة والتاريخ(١) .

---

(١) وأين عظمة أهل الدنيا، من عظمة الرسول ﷺ، وأين مكانتهم من مكانته؟

وذلك أن يتجنب الغلظة فى الفعل والجفاء فى القول، وأن يبتعد عن كل عادات الأعراب بل يلتزم الوقار والسكينة والاحترام وحسن المعاشرة والملاطفة. وينحصر كل ذلك تحت ما جاء فى سورة الحجرات من القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١ – ٥].

هذه هى الآداب المنصوص عليها فى كتاب الله تعالى والتى أمر الله بها المؤمنين أن يتأدبوا بها لسيدهم ومولاهم، وكفى بها آداباً سامية بين كل رئيس ومرؤوس وعالم وتلميذ وكل كبير وصغير.

وذلك بألا يتقدم المسلم على النبى فى الكلام والطعام والأخذ والترك، وألا يرفع صوته فوق صوت النبى فى حضرته حتى فى مماته .

وفى تفسير ابن كثير : أن عمر رضى الله عنه فى خلافته سمع صوت رجلين فى مسجد النبى ﷺ فجاء فقال أتدريان أين أنتما؟ ثم قال : من أين أنتما؟ قالا : من أهل الطائف، فقال : لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً .

وعليه قال العلماء : يكره رفع الصوت عند قبره عليه السلام : كما يكره ذلك فى حياته لأنه محترم حيًّا وميتاً .

ويقاس على ذلك عدم رفع مجلس غيره فوق مجلسه فى حضرته ولا مساواته، ويعلم ذلك من أن النبى ﷺ كان يخطب فى حياته على منبر ذى ثلاث درجات .

ولما جاء أبو بكر رضى الله عنه تنازل عن مكان النبى بدرجة، ولما جاء عمر رضى الله عنه تنازل عنه بدرجتين، وذلك قبل رفع المنبر وتجديد البناء .

وسئل عباس بن عبد المطلب يوماً : أى الاثنين أكبر، أنت أم

رسول الله ﷺ ؟ فأجاب على سبيل الأدب، أما رسول الله فهو أكبر منى ولكنى ولدت قبله.

ومن تلك الآداب أن لا يناديه أحد من بعيد حتى يدنو منه.

وأن لا يناديه باسمه الصريح بل بالكناية أو باللقب، فقد وضع الله تعالى لنا مثالاً لذلك، وذلك أنه لم يذكر اسم محمد صريحاً فى القرآن إلا فى أربعة مواضع لأسباب خاصة أما باقى الأماكن فإما أن يسميه رسولاً أو نبيًا فيما يزيد على ثلاثمائة مرة.

ومن تلك الآداب أن يحبه أكثر مما يحب والديه وولده بل ونفسه التى بين جنبيه وأن يدعو له.

لأن القرآن يقول:

﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران : ٣١] وقال أيضاً: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦] وقوله: ﴿ **قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ [الشورى : ٢٣].

وأن يطيعه فى كل ما يأمر به وينهى عنه، وكذلك يفعل

مع كل أمير وكل كبير وكل وزير ، وكل عالم وكل من له حق على المسلم[١].

والمسلمون على شروطهم إلا شرطاً حلل حراماً أو حرم حلالاً، وكل شرط ليس له في الكتاب والسنة دليل فهو باطل.

***

إلى هنا تم الكتاب

(١) وشتان بين طاعة المسلمين للرسول ﷺ وطاعتهم لغيره، وحتى طاعة أولي الأمر مشروطة بطاعتهم لله ولرسوله ﷺ.

obeikandl.com

مراجع الكتاب

حكم الشريعة فى مأتم الأربعين	للعلامة حسنين محمد مخلوف
المستطرف فى كل فن مستظرف	للأبشيهى
كتاب التوحيد	للشيخ محمد بن عبدالوهاب
تلبيس إبليس	لابن الجوزى
الإبداع فى مضار الابتداع	للشيخ على محفوظ
اقتضاء الصراط المستقيم	للإمام ابن تيمية
مسائل الجاهلية	للشيخ محمد بن عبدالوهاب مع شرح للسيد محمود شكرى الألوسى
إحياء السنة	للشيخ عثمان بن فودى
حصن الأفهام	للشيخ عثمان بن فودى

obeikandl.com